

## موجز وملاحظات مبدئية على تقرير اليونسكو الخاص بالقدس لتنفيذ القرارين 32 C/39 و169 EX/3.7.1

يوسف سعيد النتمشه\*

### ماهية التقرير

قُدّم التقرير في الدورة 170 للمجلس التنفيذي لليونسكو، ويحمل الرقم 170 EX/10، وصدر في باريس في 9 آب/أغسطس 2004. أصل لغة التقرير مكتوب بالإنكليزية، وأعطى البند 3.6.1 من أجندة الدورة. ومصدر التقرير موضوع البحث هو شبكة الإنترنت.

### خلفية التقرير

قدم المدير العام لليونسكو هذا التقرير استجابة للقرارين 32 C/39 و169 EX/3.7.1. والتقرير الحالي يوفر مراجعة تفصيلية للإجراءات التي اتخذت منذ الدورة 169 للمجلس التنفيذي من قبل المدير العام للمساهمة في حماية (صون) التراث الثقافي للبلدة القديمة في القدس، ويتضمن ملخصاً لأبرز ما وجدته بعثة اليونسكو إلى القدس (28 شباط/فبراير - 5 آذار/مارس 2004). هذا ويشكل تقرير البعثة الكامل ملحقاً لهذا التقرير (170 EX/10).

### أهمية التقرير وملحقه

يكتسب التقرير أهمية قصوى لعدة اعتبارات، وهي التي دفعت كاتب هذا المقال إلى إلقاء الضوء عليه. يأتي في مقدم هذه الاعتبارات ما تمر به المدينة من عزل عن محيطها العربي الإسلامي، والأوضاع السياسية الصعبة التي تمر بها البلدة القديمة، وكون هذا التقرير تتويجاً لقرارات سابقة كثيرة خاصة بمدينة القدس لم ينفذ منها على أرض الواقع أي شيء لحماية تراث البلدة القديمة، وأن ملحقه (تقرير البعثة) يأتي بعد انعدام أي نشاط فعلي لليونسكو منذ وفاة المبعوث السابق لمديرها العام، السيد ريموند لامير، وذلك منذ مطلع سنة 1996. ولعل أبرز عامل في أهمية هذا التقرير هو

(\*) باحث في العمارة الإسلامية، ومحاضر في المعهد العالي للآثار الإسلامية في جامعة القدس.  
(\*\*) عدل في 27 آب/أغسطس 2004.

ما سيترتب عليه من إجراءات وأعمال يبدو أنها ستري النور، أو على الأقل بعضها. ويجب ألا يغيب عن البال أن جميع هذه القرارات أو التوصيات وافق عليها مندوبو الأطراف المعنية كافة (المجموعة العربية، بما فيها الأردن وفلسطين، وإسرائيل). وهي، وإن لم تكن ملزمة قانونياً، إلا إنها جعلت من صوتها عليها وقبل بها يلتزمها أدبياً وأخلاقياً.

### مكونات التقرير

يتضمن التقرير الذي أتيح للكاتب الاطلاع عليه ثلاث صفحات، إضافة إلى صفحة الغلاف وملحق يحتوي على 16 صفحة عبارة عن إجمال شامل لتقرير البعثة المرسله إلى القدس، الذي قدم مباشرة إلى المدير العام لليونسكو.

### القسم الأول: التقرير

يستهل التقرير بتوضيح خلفية القرار C/39، الذي تم تبنيه في المؤتمر العام لليونسكو في تشرين الأول/أكتوبر 2003، والذي ينص، ضمن أمور أخرى، على إرسال بعثة تقنية إلى القدس لتقويم وضع البلدة القديمة، وتأليف لجنة تقنية من خبراء أكفاء لوضع خطة عملية لحماية البلدة، وتسريع إنشاء مركز تدريب أثري ضمن جامعة القدس.

ودعا المؤتمر العام لليونسكو المدير العام إلى تقديم تقرير عما تم إنجازه في هذا الشأن. وقد شمل الإنجاز أربعة مشاريع قرارات ومن ثم قرارات. والبنود الأربعة هي:

#### (1) تأسيس مركز تدريب أثري في جامعة القدس

تم في هذا الصدد عقد اجتماعين: الأول بين أعضاء من جامعة القدس وبين مجموعة من أعضاء بعثة اليونسكو، والثاني انضم إليه إلى جانب المذكورين البروفسور مايك ترنر من أكاديمية بتصليل (Bezalel) للعمارة. وجامعة القدس تمنح درجة ماجستير في الآثار، وشرعت في برنامج ماجستير في الترميم، وهي تخطط لوضع برنامج في إدارة الموارد الثقافية بالتعاون مع جامعات عربية وأوروبية، يبدأ العمل به في مطلع سنة 2006. وفي هذا الموضوع، أبدت جامعة القدس اهتمامها باستقبال محاضرين وأساتذة وتوفير دعم مالي للمساعدة في تأسيس برامجها وتدريب كوادرها، كما أبدى المركز الدولي لدراسة الممتلكات الثقافية وترميمها (إيكروم/ICCRUM) استعداداً للمساعدة في وسائل التعليم واستخدام أجهزته الفنية ووضع المنهج، وقدمت جامعة نابولي وإيكروم 700 كتاب في موضوعات الصيانة.

## (2) تأسيس مركز لترميم المخطوطات في المسجد الأقصى في المدرسة الأشرفية

استجابة للفقرة 2 من القرار C/39 32 قامت اليونسكو بإرسال بعثة في الفترة 22 - 27 شباط/فبراير 2004، برئاسة البروفسور أندريه بابي، لوضع التوصيات وتوضيح الخطوات مع قائمة بالمعدات المطلوبة للمختبر.

اقترح التقرير إنشاء مختبر طوارئ مؤقت بهدف تجهيز المبنى الدائم والمختبر الرئيسي، ووضع فهرس أولي للمخطوطات (للمصاحف) القرآنية في المتحف الإسلامي. وقد وافقت دائرة الأوقاف الإسلامية (بحسب قول التقرير) على تقرير البروفسور بابي، وقدم طلب مالي إلى اليونسكو لإنشاء المختبر المؤقت، وسوف تساهم اليونسكو بتوفير بعثات دورية لفريق الترميم المؤلف من خمسة أفراد تم تأهيلهم في معهد فلورنسا (1999 - 2002) بإشراف اليونسكو.

## (3) الإبلاغ عن حالة الصيانة للبلدة القديمة في القدس وأسوارها (بعثة اليونسكو)

متابعة للقرار C/39 32، قامت منظمة اليونسكو بإرسال بعثة تقنية إلى القدس (28 شباط/فبراير - 5 آذار/مارس 2004) تألفت من السيد فرانسيسكو بندرين مدير مركز التراث العالمي، والبروفسور مايكل بتزت رئيس الإيكوموس، والدكتور نيقولاس ستانلي برايس رئيس إيكروم، والسيدة ميتشال روسلر مديرة وحدة أوروبا في مركز التراث العالمي، والسيد جيوفاني بوكاردي رئيس وحدة الدول العربية في مركز التراث العالمي. وقد عاون البعثة خبيران هما: الدكتور يوسف النتشه (رئيس دائرة الآثار الإسلامية في دائرة أوقاف القدس)، والبروفسور مايكل ترنر من أكاديمية بتصيليل. وتشكر البعثة كل المؤسسات التي تعاونت معها وساعدت في بلورة التقرير الملحق هنا.

## (4) تأليف لجنة خبراء

تماشياً مع القرار C/39 32، قام المدير العام لليونسكو باتخاذ عدة خطوات نحو تأليف لجنة من خبراء أكفاء لاقتراح دليل مبني على أسس علمية وتقنية لخطة تحوي إجراءات لحماية البلدة القديمة. وفي أثناء صوغ هذا التقرير (EX/10 170)، كان تم تحضير قائمة مبدئية ومسودة للبنود المرجعية لهذه اللجنة. وتضم قائمة الخبراء ممثلي حكومات ومتخصصين من مؤسسات غير حكومية يعملون مع اليونسكو في ميدان حماية التراث الثقافي، إضافة إلى خبراء اختيروا على أساس معرفتهم وخبرتهم وأهليتهم في الميادين التي تدخل ضمن مجال اللجنة. ويتوقع أن يعقد أول اجتماع لهذه اللجنة في تشرين الثاني/نوفمبر 2004.

## القرار المقترح

في ضوء ما تقدم، فإن المجلس التنفيذي قد يرغب في تبني قرار ضمن الخطوط التالية:

إن المجلس التنفيذي،

إذ يستذكر القرار 32 C/39 للمؤتمر العام، والقرار 169 EX/3.7.1،

وقد فحص الوثيقة 170 EX/10،

يعرب عن تقديره للمساهمة الفعالة لكل أعضاء الدول المعنية، وللمؤسسات الحكومية العالمية، وللمؤسسات غير الحكومية، ولإجراءات اليونسكو الهادفة إلى صون التراث الثقافي للبلدة القديمة، ويناشدهم الاستمرار في مساعدة اليونسكو في هذا الإطار؛

ويشكر المدير العام على جهوده المستمرة في متابعة مبادرته لحماية التراث الثقافي للبلدة القديمة في القدس استجابة لقرار المؤتمر العام 32 C/39؛  
ويدعو المدير العام إلى تقديم تقرير عن التقدم في الجهود التي تنفذ في إطار مبادرته في دورة المجلس التنفيذي القادمة (الدورة 171).

## القسم الثاني: الملحق

يحمل الملحق العنوان التالي: تقرير عن بعثة اليونسكو إلى القدس (28 شباط/فبراير - 5 آذار/مارس 2004)، ويتكون من 16 صفحة ضمت، بعد مقدمة بسيطة عنونت "ملاحظات مهمة"، العناوين التالية:

- (1) تركيب بعثة اليونسكو والمؤسسات التي تمت مقابلتها
- (2) مجال البعثة وقضايا منهجية
- (3) حالة البلدة القديمة
- (4) قضايا رئيسية تتعلق بصون التراث الثقافي للبلدة القديمة في القدس وأسوارها

(1 - 4) الإطار المؤسسي والتخطيطي

(2 - 4) أثر الأبحاث الأثرية في صون التراث الثقافي

(3 - 4) سوء حالة المعالم الأثرية

(4 - 4) تبديل النسيج المعماري ومعالم المدينة

(5 - 4) عوامل المخاطر الطبيعية

(4 - 6) حركة السير والتنقل والمرور

(4 - 7) البيئة الحضرية

(4 - 8) العوامل المؤثرة في سلامة مظهر المدينة

(4 - 9) إدارة مرافق السياحة

وهذا ليس التقرير الذي قدمته البعثة إلى المدير العام، وإنما هو إجمال شامل لذلك التقرير. وقد صيغ التقرير من دون نسب الأفكار إلى الأشخاص أو المؤسسات، وهو ما قد يفسر عدم الإشارة إلى حضور الدكتور حمدان طه، مدير دائرة الآثار في السلطة الفلسطينية، لكثير من الاجتماعات.

اعتمد التقرير على ثلاثة مصادر: (1) الزيارات الميدانية للبعثة؛ (2) تقارير مندوب المدير العام، السيد ريموند لامير؛ (3) خطة مؤسسة التعاون لإحياء البلدة القديمة في القدس الصادرة عن المكتب الفني لإعمار البلدة القديمة.

ويلحظ القارئ كثرة تكرار المصدرين الأخيرين، وفي هذا دلالة على مهنية خطة الإحياء وصدقية تقارير لامير، وصعوبة أو بالأحرى عدم رغبة البعثة في القطع في المواقف، واعتمادها على الدبلوماسية والقراءة ما بين السطور لتجنب إدانة أي طرف من الأطراف المعنية.

ومع أن مجال اختصاص البعثة، كما حد لها، تقني يتعلق بحماية التراث الثقافي للبلدة القديمة، واعتمدت البعثة الدبلوماسية المفرطة في الصوغ، فإن عدم الإشارة إلى أن البلدة القديمة مدينة تقبع تحت الاحتلال، وإلى أن كثرة من المشكلات التقنية سببها السياسة الإسرائيلية تجاه المدينة، يشكل تجاهلاً لمجموعة كبيرة من القرارات الدولية الخاصة بمدينة القدس، وللرؤية الشاملة التي طرحها أعضاء الطاقم العربي الذي قابل البعثة (وثق ذلك بمحضر).

واللافت للنظر في صيغة هذا التقرير ما ورد فيه من ترادف فيما يخص الحرم الشريف (المسجد الأقصى)، إذ اقترن ذلك بذكر جبل الهيكل (Temple Mount). ومع أن منهجية التقرير توضح أنه اعتمد في ذكر الأسماء على ما ذكر في التقارير السابقة، وسواء ورد ذكر في التقارير السابقة، التي لم يطلع عليها كلها كاتب هذه السطور، فإن هذا الأمر يجانب الصواب والمنهجية العلمية. فقد يكون مفهوماً بعض الشيء (!؟) إطلاق مسمى جبل الهيكل على منطقة المسجد الأقصى إذا كان الأمر يتعلق بالفترة الرومانية أو الفترات السابقة، أمّا أن يطلق هذا الاسم حين يدور الحديث عن الوضع الحالي وعن الفترة العربية الإسلامية فهذا إسقاط لتسمية قديمة على موجودات حضارية لها خصائص ومميزات مغايرة، وهذا غير علمي ومناف لروح القرارات الدولية ومضمونها. ولا شك في أن التقرير الملحق يستوقف المختص في كل صفحة من صفحاته،

- سواء كانت الوقفة إيجابية أو سلبية. ونذكر هنا بعض المواقف على سبيل المثال:
- (1) يستخدم التقرير مصطلح القضايا الأمنية بدلاً من قول الاحتلال (ص 2، بند 3).
- (2) يمدح التقرير الحفريات التي تمت، وذلك بقوله إن أغلبها جرى على يد مختصين وبمستوى عال (ص 4، بند 2 - 4، فقرة 5)، من دون الالتفات إلى أن هذه الحفريات غير شرعية.
- (3) يتجاهل التقرير كل التحفظات التي قدمت إلى البعثة ضد متحف دافيدسون، بل إنه يمدح العمل (should be welcomed)، ومدح أعمال طرف من دون آخر يخل بحيادية هذه اللجنة (ص 5، فقرة 2).
- (4) وأخيراً هناك سوء فهم كبير فيما يخص أسباب انهيار مشاة (ممر) باب المغاربة، إذ ينص التقرير على أن ذلك يرجع إلى سقوط الثلج وزلزلة خفيفة. لكن الواقع أن دائرة الأوقاف قدمت إلى البعثة وثائق بالعربية أرسلت إلى الشرطة الإسرائيلية تحذر من عاقبة العمل، وتعترض الدائرة على نصب دعائم حديدية لحمل مظلة توصل إلى باب الحرم (ص 8، فقرة 2).
- وقد يحتاج هذا التقرير الملحق إلى وقفة أعمق في التحليل والدراسة واستخلاص العبر والنتائج، لكن الأهم من هذه الوقفة النقدية هو ما سيترتب على هذا التقرير وعلى القرار المشار إليه أعلاه، وخصوصاً فيما يتعلق بتأليف لجنة تقنية من الخبراء لتقديم اقتراحات لحماية التراث الثقافي للبلدة القديمة.
- إن هذا القرار - وكما أشرنا - مهم وحساس، وقد يؤرخ لمرحلة جديدة لتراث القدس الثقافي. فلأول مرة يتم الاتفاق بصعوبة وجهد مضمن مشترك في أشهر مؤسسة عالمية على قرار يخص تراث مدينة القدس بصورة عامة. وهذا أمر يجابه الجانب العربي والفلسطيني، بكافة مؤسساته وهيئاته العاملة والداعمة، بتحد واضح وببداية جديدة. والسؤال المطروح هو إلى أي مدى يمكن للجانب العربي والفلسطيني الاستفادة من هذا الوضع الجديد مع الحفاظ في الوقت نفسه على ثوابته الأساسية؟ وإلى أي حد يمكن التنسيق مع الأطراف الفلسطينية والعربية المتعددة لمواكبة هذا الأمر؟ باختصار: إن هذه اللجنة في دور التشكيل، وعلى الجهات العربية والفلسطينية، التي يعتبر تراثها في البلدة القديمة الأكثر تضرراً، بلورة رؤية واضحة للتعامل مع هذا المستجد الوليد. فهل نتخلف عن الركب أم نسير معه؟ أسئلة مطروحة للمؤسسات الثقافية المهمة بشؤون القدس. ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>